المنهـــج الوصفـــــي

يلجأ الباحث إلى أسلوب الوصف عندما يريد استطلاع ظاهرة لا يعلمها أو هو على علم بإبعادها و جوانبها نظرا لتوفر كل المعارف الاستطلاعية أو التشخيصية التي سبق أن أجريت عليها، فيريد التفصيل و التنقيب أكثر في تكوينها و تفسيرها لحسن الاسترشاد بها ضمن السياسات المستقبلية و التوجيهية و التوعوية للدولة، فالبحوث الوصفية كرصد حالة إي شيء ،سواء كان وضعا فيزيقيا أو خصائص مادية أو معنوية لأفراد أو مجموعات[1].

قد يكون رصد هذا السلوك كميا أو كيفيا، وقد يكون موجه لدراسة وضع قائم في وقت معين أو بالاستمرار، و قد يكون لمرات متعددة، كما قد يكون لدراسة سطحية أو لدراسة معمقة و تشخيصية.

- مفهوم الوصف

الوصف هو تعريف الأشياء و الظواهر و المؤسسات، بذكر أقسامها و إيضاح أحوالها و تحديد عناصرها، و طبيعة العلاقات بين تلك العناصر، فيقوم الباحث بوصف خصائص المشكلة و العوامل المؤثرة فيها والظروف المتعلقة بها و علاقتها بالظواهر الأخرى من خلال التفسير و المقارنة و القياس و التحليل[2]

إذن هو تفريد الظاهرة بإخراجها من نطاق التشابهية أو المجهول و كشف كل مكوناتها الخارجية و الداخلية و محاولة إدراك عوامل حدوثها.

- تعريف المنهج الوصفي

يعرف المنهج الوصفي على انه المنهج الذي يعتمد على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع الراهن، ويهتم بوصفها وصفا دقيقا ويعبر عنها كيفيا بوصفها و توضيح خصائصها، و كميا بإعطائها وصفا رقميا من خلال الأرقام و الجداول التي توضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها أو درجة ارتباطها مع الظواهر الأخرى ..

---

[1]- عمار بوحوش، مناهج البحث العلمي، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص137.

[2]-عبد النور ناجي، منهجية البحث القانوني، منشورات باجي مختار، الجزائر، 2003،ص114.

كما يعرف على انه " طريقة لدراسة الظواهر أو المشكلات العلمية من خلال القيام بالوصف بطريقة علمية، ومن ثم الوصول إلى تفسيرات منطقية لها دلائل وبراهين تمنح الباحث القدرة على وضع أطر محددة للمشكلة، ويتم استخدام ذلك في تحديد نتائج البحث".

أو انه مجموعة الإجراءات البحثية التي تتكامل لوصف الظاهرة أو الموضوع اعتمادا على جمع الحقائق و البيانات و تصنيفها و معالجتها وتحليلها تحليلا كافيا ودقيقا لاستخلاص دلالتها و الوصول إلى نتائج أو تعميمات عن الظاهرة أو الموضوع أو محل الدراسة و على الرغم من أن الوصف الدقيق المتكامل هو الهدف الأساسي للبحوث الوصفية إلا أنها كثيرا ما تتعدى الوصف إلى التفسير و ذلك في حدود الإجراءات المنهجية المتبعة و قدرة الباحث على التفسير و الاستدلال.

وقد ارتبطت نشأة هذا المنهج بالمسوح الاجتماعية وبالدراسات المبكرة في فرنسا وانكلترا، وكذا بالدراسات الأنثربولوجية في الولايات المتحدة[1].

لقد استخدم المنهج الوصفي في العلوم الاجتماعية بشكل واسع ، نظرا لما يتمتع به من مزايا حيث يقوم على رصد ومتابعة الظاهرة أو الحدث بدقة ، وبطريقة كمية ونوعية في فترة زمنية معينة ، أو لعدة فترات زمنية ، من أجل التعرف على الظروف والعوامل التي أدت بحدوث ذلك ، للوصول إلى النتائج التي تساعد في فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل.

إذن الدراسة الوصفية هي دراسة الظواهر والأحداث ، أو المواقف كما هي عليها في الواقع ، و وصفها وصفا دقيقا ، من خلال التعبير النوعي عن خصائص ، أو التعبير الكمي عن الظاهرة أو الحدث أو الموقف . إن البحوث الوصفية لا تقف عند الوصف أو التشخيص ، بل تهتم بتقرير ما ، ينبغي أن تبنّ عليه الظاهرة أو الحدث ،أو الموقف بالمستقبل ، وفقا لمعايير أو قيم مستخلصة من الدراسة . وبالتالي اقتراح لخطوا ت وأساليب الأزمة، لحدوثها من عدمها بالمستقبل[2].

- أهداف المنهج الوصفي

يهدف المنهج الوصفي إلى:

1. تجميع البيانات اللازمة للإجابة عن التساؤلات المطروحة حول الظاهرة محل الدراسة باستخدام أدوات مثل الاستبيان والملاحظة والمقابلة.

---

[1]- ماثيو جدير، المرجع السابق ،ص100.

[2]-تركي رابح،مناهج البحث في علوم التربية،المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984،ص130.

2. تناول الظاهرة بصورة مفصلة لكي يسهل استيعابها.
3. التركيز على وصف الظاهرة نفسها و محاولة إيجاد العلاقة بين الظواهر المختلفة.
4. التعميم بهدف استخلاص أحكام ونتائج نهائية لتطبيقها على كافة جوانب الظاهرة المدروسة وما يشابهها.
5. الاستفادة من خبرات الأفراد اتجاه ظواهر معينة للعملية التوجيهية المستقبلية .

- مقومات المنهج الوصفي

يقوم المنهج الوصفي على خمس دعائم أساسية لا بد من توافرها عند الاسترشاد به كمنهج في العملية البحثية و هي[1] :

- الاستعانة بمختلف أدوات البحث العملي بهدف الوصول إلى جمع البيانات و تحليلها تحليلا كافيا لفهم الظاهرة سواء تم استعمالها بصفة فردية أو الجمع بينها إن اقتضت طبيعة الدراسة استعانة بأكثر من أداة خاصة وان طبيعة العلوم الاجتماعية و التي يصعب فيها القيام بالتجربة ، يأتي المنهج الوصفي بأدواته كبديل للتجربة و التحليل و الاستنتاج .
- احترام مستويات الدراسة التحليلية عند تحديد نوعية الدراسة خاصة و أننا نعلم أن البحوث الوصفية تقوم على أساس التوصيف الاستكشافي والذي له مقوماته و أهدافه و التوصيف التشخيصي أو العميق الذي يختلف نهائيا عن البحث الاستطلاعي وان كان هذا الأخير المكون الأساسي له .
- اختيار العينة المناسبة للعملية البحث و بالشروط العلمية المتطلبة في هذا الشأن خاصة و أنها تعبر عن مجتمع الدراسة الذي وجب أن تحمل خصائصه لتكون عينة صالحة للدراسة.
- محاولة اصطناع التجريد لعزل الدراسة و تحديد سماتها و خصائصها وان كنا نعلم في هذا الشأن أن مجال الدراسة هو الظواهر الاجتماعية و قد علمنا سابقا بالصعوبات التي تلازم الظاهرة الاجتماعية عند الدراسة العلمية نظرا لخصائصها .
- تصنيف الظواهر محل الدراسة على أساس و معيار مميز للوصول إلى الغاية المنشودة من الدراسة وهي قانون يعمم وان كنا قد أثرنا سابقا مسألة صعوبة التعميم عندما يتعلق الأمر بالظواهر الاجتماعية لما تتسم به من خصائص.

- مراحل المنهج الوصفي

[1]-عمار بوحوش، المرجع السابق،ص140.

تتحدد مراحل الدراسة الوصفية بتحديد نوعية الدراسة المراد القيام بها، فقد يكتفي الباحث بمرحلة واحدة و هي المرحلة الأولى، تحددها غاياته و أهدافه و طبيعة الدراسة بحد ذاتها او قد يستغرق الأمر المرحلة التالية و هما مرحلتان تشكلان في حد ذاتهما أنواعا للدراسات الوصفية او مستويات الدراسة الوصفية .

*المرحلة الأولى: المرحلة الاستطلاعية او الاستكشافية.

تتحدد غايات و أهداف هذه المرحلة في محاولة استطلاع مشكلة اجتماعية جديدة قد تصلح للدراسة التشخيصية في المرحلة التالية، وقد تكون محددات هذه المرحلة مجرد وضع أولويات العملية البحثية و مستوى اختيار المواضيع المثارة خاصة تلك التي ترتبط بها مشكلات الأفراد و الدولة و ما تثيره من عوائق على المستوى الداخلي و الخارجي.

و الدراسة الوصفية الاستطلاعية تعتبر اللبنة الأساسية للدراسة التشخيصية، لهذا كان لزاما التقيد بخطواتها وإجراءاتها خاصة وان نجاح و استمرار العملية البحثية التالية رهن صحة و دقة إجراءات هاته المرحلة فنجاح التشخيص من نجاح الاستطلاع و تتلخص إجراءات الدراسة الاستطلاعية في:

1 -الاستعانة بميراث العلوم الاجتماعية و شتى الميادين لجمع المعلومات حول موضوع الدراسة.
2 -الاستفادة من الخبرات العلمية و الشخصية المثارة حول موضوع البحث.
3 -تحليل بعض الحالات على سبيل التنقيب و استبصار أكثر لمشكلة البحث.

*المرحلة الثانية: المرحلة التشخيصية او الدراسة الوصفية العميقة.

و هي المرحلة التي لا يكتفي فيها الباحث بمجرد استطلاع المشكلة البحثية و جمع معلوماتها الأولية و وضع مفاهيم أولى حولها وإنما يمتد فيه مجال البحث إلى التنقيب في كل تفصيلات المشكلة و كل جوانبها وأبعادها، لمحاولة تحديد سماتها و خصائصها التي تميزها عن بقية الظواهر المشابهة لها.

تعتمد الدراسة التشخيصية على جملة البيانات الوافرة التي تمت إثناء المرحلة الاستطلاعية، فنجاح التشخيص بتفصيلاته الدقيقة يعتمد على قدر المعلومات المستسقاة من المرحلة الأولى لهذا خيار الباحث في التوغل إلى البحوث التشخيصية لا يكون إلا عن دراية كافية بقدر المعلومات و البيانات التي تم الوصول إليها في المرحلة الأولى،كما أن صحة الدراسة التشخيصية يرتبط ارتباطا وثيقا بصحة المعلومات و البيانات التي تم جمعها و الحصول عليها في المرحلة الأولى.

و من هنا يمكننا القول أن الفرق بين الدراسات الوصفية التشخيصية و الدراسات الاستطلاعية أن الأولى لا يمكنها الوصول إلى غايتها إلا إذا أمدتها الدراسة الثانية بالمعلومات الكافية للتحليل العميق و التشخيص الدقيق.

و عادة ما تكون الدراسات الاستطلاعية، دراسات استكشافية لظواهر جديدة يكون الباحث فيها أول مصدر للمعلوم للانتقال من المجهول إلى المعلوم.

- خطوات المنهج الوصفي

إن خطوات تطبيق المنهج الوصفي في البحث العلمي، لا تختلف عن أي منهج علمي آخر، حيث يمكن إجمالها فيما يلي[1]:

- تحديد المشكلة وصياغتها
- وصف الفروض وتوضيح الأسس التي ب بنيت عليها
- تحديد البيانات / والمعلومات التي يجب جمعها
- جمع البيانات والمعلومات من المصادر المختلفة وبالأساليب التي تم تحديدها
- تنظيم البيانات والمعلومات وتحليلها وتفسيرها
- حصر النتائج والاستنتاجات وصياغتها
- وضع التوصيات المناسبة

- أشكال الدراسات الوصفية

يمكن تصنيف البحوث الوصفية كما يلي:

*دراسة الحالة

تعتبر أحد أساليب البحث والتحليل الوصفي المطبقة في مجالات علمية مختلفة، وقد تكون الحالة المدروسة شخصا، جماعة، مؤسسة، مدينة[2].

تقوم دراسة حالة على التعمق في العملية البحثية بهدف كشف العوامل المؤثرة في تلك الحالة مع إبراز العلاقات السببية التي تحكمها و لفهم أعمق وتفسير أفضل للأسباب وللمجتمع الذي نحن فيه .ويتم جمع البيانات و المعلومات، وفق أسلوب دراسة الحالة بالوسائل المتعارف عليها مثل المقابلة الشخصية ..الاستبيان، الوثائق المنشورات المهنية والحكومية ..وغيرها . وغالبا ما يستخدم أسلوب

---

[1]- عبد القادر مندو، المرجع السابق، ص60-ص61.
[2]-ماثيوجدير،المرجع السابق،ص101.

دراسة الحالة كمكمل لأسلوب المسح .رغم أن هذا الأسلوب ..يؤدي إلى الكشف عن كثير من الحقائق والمعلومات التفصيلية الدقيقة عن الحالة المدروسة[1].

ففي علم النفس يستخدم الفرد كحالة للدراسة في التحليل النفسي، وقد تكون المؤسسة كحالة للدراسة في مجالات علمية مختلفة، فقد ندرسها من الناحية البشرية أو المالية أو الإنتاجية، وذلك حسب مجال اختصاص الباحث وطبيعة وأهداف البحث.

*المسح الاجتماعي

الدراسة المسحية هي عبارة عن دراسة عامة لظاهرة موجودة في جماعة أو مؤسسة معينة وفي مكان معين وفي الوقت الحاضر وهي طريقة للبحث تتضمن جمع بيانات لعدد كبير من الحالات أوما يعرف بالعينة الواسعة من منطقة محدودة وفي وقت معين[2].

ساهم هذا النوع من البحوث في بناء وتطور الدراسات العلمية في مجال العلوم الاجتماعية، بما قدمه من مناهج وطوره من أدوات لجمع البيانات، وتعتبر هذه الدراسة مساهمة في وضع الأسس والقواعد المنهجية للبحث العلمي، والتعبير عن الظواهر والموضوعات الاجتماعية تعبيرا كميا، باستعمال الأدوات المنهجية التي تمكن الباحث من جمع بيانات دقيقة والوصول إلى نتائج موضوعية.

* تحليل مضمون

يعد تحليل المضمون أسلوبا أو أداة يستخدمها الباحث ضمن أساليب وأدوات أخرى، في إطار منهج متكامل، للوقوف على محتوى المادة الإعلامية، أو دراسة ثقافة مجتمع، أو إجراء دراسة تحليلية لعملية التفاعل الاجتماعي .ويستخدم تحليل المضمون في الأبحاث والدراسات الاجتماعية التي يصعب مقابلة وحداتها نظرا لوفاتها أو غيابها أو بعدها الجغرافي أو ارتفاع مكانتها الاجتماعية والسياسية، بغية تحليل المادة، لذا يضطر الباحث الاجتماعي في مثل هذه الحالات إلى استخدام الوثائق، والسجلات والمستندات، والمذكرات،والمقالات والصحف وغيرها من أجل التوصل إلى الحقائق والبيانات عن الموضوع المزمع إجراءه[3] .

.ويرتبط تحليل المحتوى أو تحليل الوثائق ارتباطا وثيقا بالبحوث التاريخية، وبالمنهج الوثائقي، بل لعل تحليل المحتوى هو الأداة الحديثة التي يمكن بواسطتها التعبير الكمي والدقيق عن الظواهر والأحداث والكتابات، خصوصا مع.استخدام الحسابات الآلية في عمليات معالجة الوثائق وتجهيزها وتحليلها[4] .

---

[1]- كمال دشلي، المرجع الساق،ص63.
[2]- عبد النور ناجي،المرجع السابق،ص116.
[3]- ليندا لطاد و عائشة عباش و من معهم ، المرجع السابق،153.
[4]- المرجع نفسه ص153.

- تقويم البحث الوصفي

للمنهج الوصفي كغيره من المناهج مزاياها التي يستطيع من خلالها البحث العلمي الارتقاء بالإنسان إلى اعلي مستويات التطور الحضاري و يمكننا تلخيصها ضمن النقاط التالية :

- يقدم للباحث معلومات حول واقع الظاهرة المدروسة، إذ لا يقف على مجرد جمع بيانات وصفية حول الظاهرة وان يمتد إلى التشخيص والتفسير لهذه البيانات تصنيفيا وقياسيا وبيان العلاقة بين المتغيرات واستخلاص النتائج منها و الوصول إلى تعميمات بشأن الظاهرة المدروسة.
- يساعد على التنبؤ بمستقبل الظاهرة وان كان هدف المنهج الأصلي هو فهم حاضر الظاهرة و هو احد ميزات المنهج الوصفي.
- يعتبر المنهج الوصفي مظلة واسعة ومرنة تتضمن عددا من المناهج والأساليب الفرعية المساعدة مثل المسوح الاجتماعية أو الدراسات الميدانية أو دراسة الحالة وغيرها. ولهذا يكاد المنهج الوصفي يشمل كافة المناهج الأخرى باستثناء المنهجين التاريخي والتجريبي، ذلك أن عملية الوصف والتحليل للظواهر تكاد تكون مسألة مشتركة وموجودة في كافة أنواع البحوث العلمية.

غير أن مزايا المنهج الوصفي لم تكن رادعا لتوجيه جملة الانتقادات التي و إن كانت تبين مواطن ضعف هذا المنهج كغيره من المناهج، إلا أنها لن تنفي مكانته و أهميته كمنهج بديل للمنهج التجريبي في العلوم الاجتماعية و خاصة منها العلوم القانونية .

إذن من بين مواطن قصور هذا المنهج :

- اعتماد الباحث على مصادر مغلوطة أثناء عملية البحث و هو ما يؤثر على صدق المعلومة المستسقاة و كذا جدية البحث العلمي على العموم.
- تحيز الباحث في جمع البيانات و اعتماده على مصادر معينة تزوده بما يريد ويرغب فيه وليس بما هو حقيقي، وذلك لأن الباحث يتعامل مع ظواهر اجتماعية وإنسانية غالبا ما يكون طرفا فيها.
- يتم إثبات الفروض في البحوث الوصفية عن طريق الملاحظة و هو ما يقلل من قدرة الباحث على اتخاذ القرار.
- أن جمع المعلومات في الدراسات الوصفية غالبا ما يتم عن طريق العديد من الأشخاص قد يساعدون الباحث في العملية البحثية و اختلاف طرائق وأساليب البحث بتعدد الأشخاص قد يكون له أثره السلبي على عملية البحث .
- و إن كان المنهج الوصفي يعتبر أداة أساسية لتقييم الوضع الراهن و تقويمه للمستقبل إلا أن قدراته في عملية التنبؤ تبقى محدودة لما تتسم بها الظاهرة الاجتماعية من سرعة التغير والتعقيد .